الفصل الثانى

النشاط الإعلامى والدعائى للصهيونية فى مصر

- بداية الصحافة الصهيونية
- الصحافة الصهيونية فى الثلاثينيات
- الصحافة الصهيونية فى الأربعينيات

obeikandl.com

obeikandl.com

النشاط الإعلامى والدعائى لليهود فى مصر

لقد تمتعت الطائفة اليهودية فى مصر بكامل حريتها فى إصدار الصحف والمجلات الناطقة باسمها والتى تحمل وجهات نظرها فيما يتعلق بالشئون المصرية والعالمية. وعند محاولة رصد وتتبع نشأة وتطور الصحافة اليهودية فى مصر وبدء تحولها من مجرد أداة للتعبير عن أفكار ومصالح الطائفة اليهودية فى مصر إلى أداة سياسية للدعاية للحركة الصهيونية وإنشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين قد يكون من المفيد والضرورى أن نشير إلى بعض الملاحظات الأساسية فى هذا الصدد:

١ ـ أن جميع الصحف اليهودية أو ذات الطابع اليهودى أى التى أصدرها أشخاص يهود أو شارك فى تحريرها يهود وصدرت فى مصر قبل انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول فى بال ١٨٩٧ لم تكن تحمل شبهة العلاقة بالحركة الصهيونية مثال ذلك صحف يعقوب صنوع التى بدأت بمجلة أبو نضارة زرقا ١٨٩٧ وكانت أول مجلة هزلية عرفتها مصر. وقد أدى الطابع النقدى الساخر لهذه الصحيفة إلى اصطدام يعقوب صنوع بالسلطة الخديوية وإغلاق الصحيفة وطرده من البلاد وقد واصل صنوع إصدار صحيفته بعد ذلك من باريس حيث أقام هناك بعد خروجه من مصر ولكن الحكومة المصرية كانت تمنع دخولها وتصادر أعدادها فكان يتحايل إصدارها تحت أسماء مختلفة مثل رحلة أبى نظارة زرقا وأبو نظارة لسان حال الأمة المصرية وأبو نظارة مصر للمصريين والنظارات المصرية الحرة وأبو صفارة وأبو زمارة والحاوى الطاوى وهكذا ظل يواصل إصدار صحفه إلى أن توفى ١٩١٢[١].

انظر:

(١) إبراهيم عبده: أبو نظارة القاهرة مكتبة الآداب ـ ١٩٥٣. =

وقد اختلفت آراء المؤرخين والباحثين حول تحديد هوية يعقوب صنوع فمنهم من يعتبرونه جزءاً من الحركة الوطنية المصرية ضد القهر الخديوى والسيطرة الاستعمارية البريطانية ومنهم من يعتبره أداة فرنسية ضد المصالح البريطانية فى مصر وخصوصاً أن جميع الصحف التى أصدرها عاصرت مرحلة التنافس بين إنجلترا وفرنسا للسيطرة على مصر وذلك قبل توقيع الاتفاق الودى بينهما ١٩٠٤.

ولكن ما يهمنا هنا هو تحديد انتماءه الصهيونى، والواقع أن هناك شكوكا حول الميول الصهيونية ليعقوب صنوع تؤكدها بعض المصادر اليهودية والفلسطينية. فقد جاء فى كتاب أسرار اليهود لنسيم بى ملول أن ابن صنوع كان من أكبر المؤيدين له فى إصدار الكتاب للدفاع عن الأمة اليهودية المسكينة المشتتة فى مشارق الأرض ومغاربها. هذا وقد أكدت الدكتورة خيرية قاسمية فى بداية رسالة الدكتوراه التى نشرتها عن (النشاط الصهيونى فى الشرق العربى وصداه) نفس الدلائل. ولكن للإنصاف لم يثبت حتى الآن أن يعقوب بن صنوع قد نشر فى صحفه ما يشير إلى تأييده للصهيونية أو الوطن القومى لليهود فى فلسطين. أما الصحف الأخرى التى صدرت فى نفس الفترة مثل صحيفة الكوكب المصرى التى أصدرها موسى كاستلى ١٨٧٩ وهى صحيفة سياسية أدبية تجارية استمرت أربعة أعوام وكذلك صحيفة الميمون التى أصدرها كاستلى أيضاً عام ١٨٨٩ وكانت ذات طابع فكاهى فلم يكن لها طابع سياسى واضح. أما صحيفة الحقيقة التى كانت تصدر فى الإسكندرية منذ مارس ١٨٨٩ وكان يرأس تحريرها فرج مزراحى فقد اهتمت بنشر أخبار اليهود سواء فى مصر أو العالم وكانت

= سعيد محمد السيد ـ الصحافة العربية فى عصر إسماعيل ـ رسالة ماجستير غير منشورة ـ كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٣.

عادل أمين الصيرفى: صحافة الفكاهة وصحافيوها فى مصر منذ نشأتها حتى عام ١٩٢٥ رسالة ماجستير ـ كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ١٩٧٢.

تدعو إلى نشر اللغة العبرية بين اليهود وكذلك صحيفة نهضة إسرائيل التى صدرت ١٨٩٠ بدون ترخيص وطالب حاخام الطائفة اليهودية فى مصر بإيقافها بسبب إقدامها على نشر بعض المقتطفات الدينية والتاريخية التى تدور حول أحلام اليهود فى العودة إلى الأرض المقدسة وذلك خوفاً مما قد يسفر عن ذلك من متاعب للطائفة فى مصر(١).

هاتان الصحيفتان الأخيرتان (الحقيقة ونهضة إسرائيل) كانتا تحملان على استحياء بذرة الانتماء للفكر الصهيونى ولكنها كانت مغلفة بالإطار الدينى الذى لم تكن تسمح المرحلة بأكثر منه. ومن الملاحظ أن جميع الصحف اليهودية التى صدرت فى تلك المرحلة لم تكن تعبر عن الطائفة اليهودية أو هيئة أو تنظيم يهودى بل كان يصدرها أفراد يهود فى أغلب الأحيان.

٢ ـ شهدت المرحلة التى تلت انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول فى بال ١٨٩٧ ظهور نوعين من الصحف اليهودية فى مصر أولهما الصحف الصهيونية التى أصدرتها الهيئات والجمعيات الصهيونية التى تكونت فى مصر وكانت هذه الصحف بمثابة أدوات دعائية كاملة لنشر الفكر الصهيونى باللغة العربية والفرنسية فى المجتمع المصرى. والنوع الثانى الصحف اليهودية التى أصدرتها الطائفة اليهودية بمصر وكانت جميعها ذات انتماء صهيونى ولكن تفاوتت درجات هذا الانتماء ومستوى التعبير عنه.

وفيما يتعلق بالنوع الأول فقد ارتبط ببدء ظهور النشاط الصهيونى فى مصر حيث بدأت تتكون الجمعيات الصهيونية التى كان لابد لها من تجسيد دعوتها وأفكارها فى صحف ونشرات عدا أنواع النشاطات الدعائية الأخرى مثل الاجتماعات والندوات، وقد أحس اليهود فى تلك الفترة بضرورة إصدار صحف عربية يبثون من خلالها الدعوة الصهيونية، ولكن هناك بعض الصعوبات التى حالت دون تحقيق ذلك على الأقل فى تلك

(١) انظر: سعيد محمد السيد ـ مصدر سابق ص ١٩٧، ٢٠١.

الفترة المبكرة، حيث كانت الجمعيات الصهيونية فى مصر فى بداية تكوينها وفى حاجة ماسة لتدعيم وجودها وسط الجماهير اليهودية من خلال الأتصال المباشر والعمل على جمع التبرعات وشرح الدعوة الصهيونية وتجنيد أكبر عدد من الأنصار حولها. وقد حاولت تلك الجمعيات تعويض ذلك بالعمل على الاستفادة من الصحف المصرية بمحاولة النفاذ إليها، وقد وجدت بالفعل بعض الصحف التى تبنت وجهة النظر الصهيونية وأفردت صفحاتها للدفاع عنها، وتأتى المقطم فى مقدمة هذه الصحف، ويأتى هذا الموقف انطلاقاً من تبعية المقطم المطلقة للاستعمار البريطانى. وقد اتبعت المقطم سياسة تتسم بالدهاء والنعومة فهى الصحيفة المصرية الوحيدة التى أتاحت الفرصة للكتّاب العرب والكتّاب اليهود لإبداء وجهات نظرهم فى مختلف التطورات التى طرأت على مسرح الأحداث منذ بدأت الحركة الصهيونية تتجسد فى مواقف وأفعال محددة فى فلسطين. ولذلك أتيح لليهود فرصة استخدام المقطم للرد على الاتهامات والتحذيرات التى كان يعلنها بعض المصريين إزاء النشاط الصهيونى فى فلسطين[1]. أما المقتطف فقد كانت أقل ذكاء من المقطم إذ تبنت الاتجاهات الصهيونية بشكل سافر وكانت تكتب عن نشاطهم وتمتدح جهودهم وتمنحهم فرصة الكتابة والتعليق والدفاع. وبالنسبة للأهرام فقد أرادت أن تضفى على موقفها صفة الحياد والموضوعية فكانت تمنح مساحات لا بأس بها لليهود للرد على وجهات النظر المخالفة لهم وذلك عملاً بحرية النشر[2]. والواقع أن المقطم كانت الصحيفة المصرية الوحيدة التى حظيت بثقة اليهود الكاملة وكانوا يعتبرونها بمثابة البديل الوحيد العادل لصحفهم وقد أشار حاييم وايزمان فى

انظر:

(١) عواطف عبد الرحمن ـ مصدر سابق ص ٢١٩.

(٢) خيرية قاسمية: النشاط الصهيونى فى الشرق العربى وصداه ـ بيروت م.أ.ق. ١٩٧٣ ص ٦٩ ـ ٧٠.

مذكراته إلى ذلك عندما تحدث عن زيارته لمصر ١٩١٧، وأشاد بالروح الودية العظيمة التى يكنها أصحاب المقطم لليهود(١).

ويبرز انحياز المقطم واضحاً نحو الجانب الصهيونى عندما نكتشف أنها كانت تمنح الكتاب الصهيونيين ما يماثل ضعفى ونصف الفرصة التى كانت تمنحها للكتاب الفلسطينيين أو المصريين للدفاع عن وجهة النظر العربية على صفحاتها(٢).

وترجع أول محاولة لإصدار صحيفة صهيونية فى مصر إلى سنة ١٩٠٤ عندما أصدر أحد الناشرين اليهود صحيفة مصر باللغة العربية بمساندة (الإليانس) الإسرائيلى الدولى ومقره باريس، وكان الهدف من إصدارها كما جاء على لسان رئيس تحريرها كارمونا الناشر اليهودى هو «الرد على الحملات المعادية للسامية والتى تزخر بها الصحف المصرية والدفاع عن مصالح اليهود ومعتقداتهم(٣)». وقد استمرت هذه الصحيفة ثمانية أشهر ثم توقفت عن الصدور.

وشمل النشاط الدعائى للمجموعات الصهيونية فى مصر فى تلك الفترة إصدار بعض الصحف باللغة الفرنسية إلى جانب وسائل الدعاية الأخرى المباشرة مع عدم إغفال الصحف المصرية الموالية للصهيونية والتى أسلفنا الإشارة إليها، ومن أبرز الصحف التى أصدرتها التنظيمات الصهيونية باللغة الفرنسية صحيفة La Renaissance Juive (النهضة اليهودية)، وقد كان ذلك فى بداية عام ١٩١٧ وقد استمرت عامين ونصفا وكانت أحد المنابر الهامة لترويج الفكر الصهيونى وخصوصاً بين المجموعات اليهودية ذات الأصول الأجنبية وكان معظمهم يتحدثون الفرنسية.

(١) مذكرات وايزمان ـ م.أ.ف. ـ بيروت ـ ١٩٧١ ـ ص ٩٤.

(٢) عواطف عبد الرحمن ـ مرجع سابق ص ٢٢١.

(٣) مجلة التهذيب ١٢ ـ ٩ ـ ١٩٠١ العدد ٦.

والواقع أن صدور وعد بلفور فى نوفمبر ١٩١٧ يمثل نقلة هائلة للصحافة الصهيونية فى مصر، إذ انتقلت التنظيمات الصهيونية من مرحلة الاعتماد على الصحف الحليفة سواء المصرية أو اليهودية إلى إصدار صحفها الخاصة بها المعبرة فى سفور عن ارائها الصهيونية.

ويهمنا أن نشير إلى الصحف اليهودية التى صدرت فى تلك الفترة وتنتمى إلى النوع الثانى أى الصحف التى أصدرتها الطائفة اليهودية وكانت تبدى تعاطفاً خفيّاً مع الاتجاهات الصهيونية ولكنها كانت حريصة على أن تبدو بمظهر الملتزم بمصالح الطائفة من الناحية الدينية. ومن أبرز هذه الصحف مجلة التهذيب التى أصدرتها طائفة القرائين اليهود، وقد استمرت من ١٩٠١ ـ ١٩٠٥ وكانت تهتم بنشر أخبار الطوائف القرائين فى العالم إلى جانب اهتمامها بشؤون الطائفة فى مصر، كما كانت تحاول المشاركة فى الاهتمام بالشؤون المصرية بنشر بعض المتابعات الشكلية لأنباء الخديوى عباس أو تهنئة المصريين بأعيادهم الدينية الإسلامية والمسيحية، وكذلك صحيفة الإرشاد التى أصدرتها الطائفة نفسها ١٩٠٨ وكان يرأس تحريرها سليم ليشع وكانت تشير فى كثير من كتاباتها إلى المشكلة اليهودية وحنين اليهود إلى أرض الميعاد ولكنها لم تخرج عن الإطار الدينى.

■■■

بداية الصحافة الصهيونية فى مصر

٣ ـ لاشك أن المجلة الصهيونية La Revue Sioniste التى أصدرها ليون كاسترو عقب صدور وعد بلفور مباشرة أى فى يناير ١٩١٨ كى تكون لساناً ناطقاً باسم أول فرع للمنظمة الصهيونية العالمية بالقاهرة تمثل بداية المرحلة العلنية للنشاط الصهيونى فى مصر خصوصاً وأنها أعلنت بوضوح فى افتتاحية العدد الأول أن هدفها هو (خلق وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين يمارس بداخله اليهود الحرية والعدالة ويجعلون من القدس القلب النابض للأمة اليهودية)[1].

وقد استمرت المجلة الصهيونية خمسة أعوام وكانت تصدر باللغة الفرنسية وقد ساعدها ذلك على الكشف عن هويتها الصهيونية منذ العدد الأول استناداً إلى أن الرأى العام المصرى لا يعرف اللغة الفرنسية إلا شريحة صغيرة منه تمثل مجموعة المثقفين خريجى المدارس الفرنسية وبعض كبار الساسة المصريين. وقد اعتمدت المنظمة الصهيونية على هذه المجلة فى تحقيق عدة أغراض.

أولاً: تثقيف الجماهير اليهودية فى مصر وتوعيتها بأبعاد المشكلة اليهودية وأهداف الحركة الصهيونية وتعبئتها من أجل مساندة إنشاء الوطن القومى فى فلسطين.

ثانياً: الترويج للفكر الصهيونى بين قيادات الرأى العام المصرى والتى كان يمثلها كبار الساسة والمثقفين المصريين وخصوصاً تلك المجموعات التى درست فى الجامعات الأوروبية وتأثرت بالفكر الليبرالى وكان يطلق عليها المجموعة

(1) La Revue Sioniste 11 ـ 1 ـ 1918. Farjeon: Op. Cit P. 227.

العلمانية او التيار القومى المصرى فى مواجهة المجموعات الأخرى التى كانت تمثل الاتجاهات الإسلامية وتبدى تعاطفاً شديدا مع التيار العربى.

ثالثاً: استخدام مصر كمنبر للدعاية الصهيونية فى المنطقة العربية والإسلامية بأكملها وقد عبرت المجلة الصهيونية عن ذلك بوضوح فى كثير من أعدادها، إذ ابرزت اهمية كسب الراى العام المصرى إلى جانب الحركة الصهيونية إدراكاً منها لقدرته على التاثير على الدول العربية والشرقية وحرصاً على استثمار مصر ويهودها فى بناء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين، خصوصاً وأن الجالية اليهودية فى مصر بما كانت تملك من ادوات التأثير الاقتصادى والاجتماعى، كانت تعد أقدر الجاليات اليهودية فى الشرق العربى على القيام بهذه المسئولية الضخمة.

٤ ـ إذا كانت المجلة الصهيونية تعد فاتحة النشاط الصهيونى العلنى فى مصر، فإن الهيئات الصهيونية اعتبرتها غير كافية بسبب اقتصارها على جمهور محدود من اليهود المصريين ممن يتقنون الفرنسية، ورأت هذه الهيئات ضرورة إيجاد لسان صهيونى ناطق باللغة العربية يتولى الدفاع عن المصالح الصهيونية، ويخلق جسراً للتفاهم مع الشعب المصرى مباشرة ويكون أداة فعالة للرد على الاتهامات والآراء التى تنشرها الصحف المصرية خصوصاً تلك الصحف التى كانت تبدى اهتماماً وتعاطفاً مع الشعب الفلسطينى فى صراعه مع الصهيونية. ولذلك سارعت هذه الهيئات باعتماد مبلغاً ضخماً لإصدار صحيفة صهيونية ناطقة باللغة العربية وقادرة على تحقيق الأهداف السابق ذكرها. وكانت صحيفة إسرائيل هى أول صحيفة صهيونية باللغة العربية صدرت فى القاهرة والإسكندرية ١٩٢٠، وكانت تصدر صباح كل خميس باللغات الثلاث العربية والفرنسية والعبرية. ولم تعمر الطبعة العبرية طويلاً إذ سرعان ما توقفت نظراً لقلة القراء اليهود الذين يجيدون العبرية. أما الطبعة العربية

فقد استمرت ١٤ عاماً. وفيما يتعلق بالطبعة الفرنسية فقد تميزت بعدم شعبيتها ولم تلق إقبالاً كبيراً حتى من جانب النخبة المثقفة من المجتمع اليهودى فى القاهرة، وذلك بسبب موقفها المتعنت من بعض المسائل اليهودية المحلية[١]. وقد كان محفل بناى بريث يكن عداء سافراً لهذه الصحيفة وقد شن عليها الحرب علانية بسبب جرأتها فى الدفاع عن المصالح الصهيونية والترويج للوطن القومى اليهودى فى فلسطين مما أثار مخاوف الطائفة اليهودية خصوصاً وأن صحيفة إسرائيل كانت تصدر باللغة العربية، ولم يكن هناك مجال للتخفى أو إنكار انتمائها الصهيونى خلف أقنعة دينية، ولكن استطاعت (إسرائيل) أن تتغلب على معارضيها من أبناء الطائفة اليهودية من خلال تعديل مواقفها إزاء بعض رجالات الطائفة والتركيز على تعحيق الخدمة الإعلامية التى كانت تقدمها[٢].

وتتلخص رسالة (إسرائيل) كما جاء على لسان رئيس تحريرها سعد يعقوب المالكى فى (تعريف اليهود الناطقين بالضاد فى كل قطر بأحوال العالم الإسرائيلى والعمل على إيجاد شبه رابطة معنوية بين يهود الشرق والدعوة للاتحاد والتضامن وإيجاد مجلس طوائف يهودى شرقى)[٣]. ولقد كانت إسرائيل أول صحيفة صهيونية تصدر باللغة العربية فى مصر بعد صدور وعد بلفور. وقد حددت الصحيفة موقفها من وعد بلفور وإنشاء الوطن القومى اليهودى على النحو التالى (إن تأييد الوطن القومى والدعوة إليه من أهم مبادئنا لأننا واثقون أن عودة اليهود إلى فلسطين سوف تعود بالخير الجزيل على الشرق عامة وفلسطين خاصة. لهذا دعونا بحرارة وإيمان إلى وجوب تعضيد هذا المشروع الإنسانى الذى يرمى إلى إنهاض بلاد مقفرة وأحياء أرض موات وقد دعونا بلسان عربى مبين على رؤوس الأشهاد ليعلم الجميع من عرب ويهود أن اليهود إذا ما عادوا إلى فلسطين فإنهم لا يعودون غزاة فاتحين

(1) Farjeon: Op. Cit. P. 227.

(2) Ibid. P. 229.

(٣) إسرائيل فى عامها الرابع عشر ٦ ـ ١ ـ ١٩٣٣.

ولكن بناة عاملين للخير ومنفعة الجميع... ولو كان اليهود يبطنون خلاف ما يظهرون لما نشرنا أنباء هذا الوطن القومى والآمال المعلقة عليه بلسان عربى يفهمه العرب"[1]. وكانت صحيفة إسرائيل تدافع عن ضرورة وجود صحيفة صهيونية رسمية باللغة العربية. ولذلك وجهت اللوم إلى الجمعية الصهيونية (التى أصدرت طائفة من الصحف بلغات شتى وأهملت هذا الجانب الهام)[2]. ورغم الوجه الصهيونى السافر الذى ارتدته صحيفة إسرائيل فإنها كانت تحاول أن تؤكد عدم تبعيتها للجمعية الصهيونية. وبعد وفاة مؤسسها الدكتور موصيرى فى مارس ١٩٣٣ حلت محله زوجته ماتيلدا موصيرى التى واصلت إصدار الصحيفة وظل سعد يعقوب المالكى فى منصبه رئيساً للتحرير ولكن لم تستمر الصحيفة طويلاً بعد ذلك. وكانت ماتيلدا موصيرى قد كتبت فى نوفمبر ١٩٣٣ تستحث يهود مصر على المشاركة فى تمويل الصحيفة بعد وفاة صاحبها فى أوائل ذلك العام فقالت (لقد قمنا بنشر الدعوة الصهيونية طيلة هذه المدة والتبشير بالمبادئ الصهيونية والدفاع عنها ورد حملات خصومها عليها. وكم من مرة لفتنا نظر كبار رجال الصهيونية فى الشرق إلى أن وجود جريدة يهودية بلسان عربى فى مصر تتولى الدفاع عن الصهيونية وتنشر الدعوة لها لهى على جانب عظيم من الأهمية)[3].

وحذرت السيدة ماتيلدا موصيرى من احتمال توقف الصحيفة عن الصدور ما لم يبادر اليهود فى الشرق وفى مصر بمعاونتها. وبالفعل فقد اضطرت إلى التوقف عن إصدار الطبعة العربية بعد أن أشار عليها بعض أصدقائها من كبار رجال الطائفة اليهودية فى مصر بأن تركز اهتمامها على الطبعة الفرنسية،

(١) إسرائيل ٢٠ ـ ٥ ـ ١٩٣٠.

(٢) إسرائيل ٢٧ ـ ٦ ـ ١٩٢٠.

(❖) البير موصيرى: يعد من أبرز العناصر اليهودية التى اعتمدت عليها الحركة الصهيونية فى نشاطها الدعائى والسياسى بمصر. وقد انضم إلى صفوف الصهيونية عندما كان يدرس الطب بباريس فى بداية القرن العشرين. وقد كون فى باريس أول جمعية صهيونية وأصدر لها نشرة أسبوعية كانت تطبع بخط اليد. وعندما عاد إلى القاهرة جند نفسه لخدمة الحركة الصهيونية وكان من أبرز إنجازاته إصدار صحيفة إسرائيل والمشاركة فى إنشاء =

وقدموا لها مساعداتهم فى هذا الصدد وضاعفوا حجم الصحيفة الفرنسية، بينما بقيت الطبعة العربية من صحيفة إسرائيل على حالها، بل انخفضت كمية الإعلانات التى كانت تنشر بها بعد أن امتنعت بعض المحال التجارية اليهوديةعن التعامل معها[1]. والواقع أن (إسرائيل) لم تعتمد فقط على إعلانات المتاجر اليهودية المصرية بل نشرت أيضاً إعلانات لشركات صهيونية منها شركة تحسين شواطئ حيفا ليمتد[2].

ولم تتوقف موجات إصدار الصحف الناطقة باسم الحركة الصهيونية ومصالحها فى الشرق العربى، إذ بينما كانت صحيفة إسرائيل تؤدى مهمتها الخطيرة كمنبر للدعاية الصهيونية الأخرى التى كانت تتباين فى الاهتمامات وفى اللغة التى تصدر بها، ولكنها كانت جميعها ترتبط بهدف إستراتيجى واحد هو إقناع أكبر عدد ممكن من اليهود بالفكر الصهيونى وتضليل أكبر عدد ممكن من المصريين والعرب بحقيقة الأهداف الصهيونية وأطماعها فى فلسطين.

وتعتبر صحيفة P.Aurare (الفجر) من أبرز الصحف التى تواكب ظهورها واستمرارها مع صحيفة (إسرائيل). ويمثل ظهور مجلة الفجر فى مصر المرحلة الثانية من حياتها، إذ سبق أن أصدرها صاحبها لوسيان سيكوتو

= فروع للمنظمة الصهيونية فى مختلف المدن المصرية، وقد انضم إلى الجيش البريطانى الذى توجه إلى فتح فلسطيت ثم عاد إلى القاهرة وشارك فى العناية باللاجئين وفى إنشاء نوادى المكابى إلى جانب جهوده الأخرى فى خدمة الصهيونية.

المصدر: صحيفة إسرائيل فى ١٣ ـ ٣ ـ ١٩٣٣.

فى ذمة الله يا البير ١٣ ـ ١ ـ ١٩٣٣.

(١) إسرائيل ٢٧ ـ ١١ ـ ١٩٣٣.

(٢) إسرائيل ٢٤ ـ ١١ ـ ١٩٣٣.

(٣) إسرائيل ١١ ـ ٤ ـ ١٩٣٠.

انظر: FORJEON. OP. CIT. P. 228.

عواطف عبد الرحمن . مرجع سابق ـ ص ٢٣٨.

عام ١٩٠٨ فى إستنبول ثم توقف أثناء الحرب العالمية الأولى واختفت تماماً ١٩١٩. ثم تستأنف لوسيان بعد ذلك إصدارها فى القاهرة حوالى ١٩٢٤، وقد ظهرت فى نفس الإطار القديم. وفى يونيو ١٩٣١ توقفت عن الصدور ثم انتقلت فى شهر يوليو من نفس العام إلى إشراف جاك مالح. ولقد صادفت هذه المجلة عدة صعوبات مالية وكادت تتوقف عن الصدور بعد ذلك ولكن اهتم بها أعضاء محفل بناى بريث وشكلوا لجنة برياسة سيمون مانيه لدعمها ماديّاً وأدبيّاً. وقد أدت أحداث الثلاثينيات وتصاعد الغضب الشعبى فى مصر ثم تشكيل عصبة معاداة اللاسامية ـ أدى كل ذلك إلى اتخاذ صحيفة (الفجر) لسان حال للعصبة طوال الأربعينيات وقد كانت تصدر صباح كل خميس فى القاهرة والإسكندرية فى آن واحد.

وقد يكون من المفيد أن نشير إلى إحدى الصحف اليهودية التى صدرت فى العشرينيات وكانت تحاول إخفاء وجهها الصهيونى ولكنها لم تنجح فى ذلك طويلاً، هذه الصحيفة هى مجلة «الاتحاد الإسرائيلى» التى صدرت فى إبريل ١٩٢٤ كلسان حال لطائفة القرائين اليهود فى مصر، ورغم أن اهتمامها الأساسى كانت منصباً على شئون الطائفة والمجلس الملى وأخبار اليهود فى العالم فإن تعاطفها مع الحركة الصهيونية كان واضحاً منذ العدد الثالث عندما نشرت صورة اللورد بلفور وكتبت تحتها نص الوعد الذى أعطاه لليهود بإنشاء وطن قومى لهم فى فلسطين[١]. أما العدد الرابع فقد تصدرته صورة هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية. وقد حددت مجلة الاتحاد الإسرائيلى سياستها فى افتتاحية العدد الأول على النحو التالى:

١ ـ نشر أخبار وآراء الطائفة والتعبير عن أفكارهم ولتذكى فى نفوسهم روح الهمة والنشاط للعمل على ما فيه فلاح الطائفة.

(١) الاتحاد الإسرائيلى ١٨ ـ ٥ ـ ١٩٢٤ العدد الثالث.

٢ ـ بث روح الإخاء والمحبة وعواطف التضامن والاتحاد بين مجموع أفراد الطائفة[١].

٣ ـ نشر أخبار اليهود الخارجية والداخلية والمقتطفات الأدبية والتاريخية والترويح عن نفوس القراء بفكاهات ولطائف ومسابقات[٢].

وقد خصصت المجلة تحقيقاً لتلك الأهداف باباً ثابتاً عن أخبار اليهود فى العالم كان يتضمن مقتطفات خبرية من الصحف الأجنبية وأحياناً الصحف المصرية مثل المقطم. وكانت مجلة الاتحاد الإسرائيلى تولى اهتماماً خاصّاً لكل ما يتعلق بشئون طائفة القرائين مع عدم إغفالها للموضوعات التى تهدف إلى إحياء التراث اليهودى وخاصة طائفة القرائين فى كل أنحاء العالم.

ورغم الطابع الدينى الذى حاولت «الاتحاد الإسرائيلى» أن تغلف به اتجاهاتها الصهيونية فإن ذلك لم يعقها عن الكشف عن حقيقة الانتماء الصهيونى لليهود القرائين معلنين تأييدهم المطلق ومساندتهم الكاملة مادياً ومعنوياً لوعد بلفور فى أن تكون فلسطين وطناً قوميّاً لليهود... وقد أكدت المجلة ذلك العهد فى أكثر من مناسبة وخصوصاً عندما كانت تتعرض بعض الصحف المصرية للدفاع عن اليهود المصريين بمحاولة تبرئتهم من الانتماء الصهيونى. فقد انبرت (الاتحاد الإسرائيلى) للرد على الأهرام فى إحدى المرات مؤكدة أن القرائين اليهود يناصرون الصهيونية ويوافقون عليها وقد كتبوا بذلك كتابة رسمية[٣].

وتختلف مجلة (الاتحاد الإسرائيلى) عن الصحف الصهيونية الأخرى فى أنها كانت تهتم بالوطن القومى اليهودى من خلال المنطلق الدينى ولذلك

(١) الاتحاد الإسرائيلى إفتتاحية العدد الأول ٢٠ ـ ٤ ـ ١٩٢٤.

(٢) الاتحاد الإسرائيلى ١٣ ـ ٧ ـ ١٩٢٤.

(٣) الاتحاد الإسرائيلى ١٣ ـ ١١ ـ ١٩٢٤.

كانت تنشر أخبار فلسطين تحت عنوان (أخبار أرض الميعاد)[1]. وكانت تعكس فى معالجتها للمسألة الفلسطينية الرؤية الصهيونية الدينية القديمة التى تدور حول العودة إلى أرض الميعاد التى تحدث عنها العهد القديم.

وكانت مجلة الاتحاد الإسرائيلى تصدر مرتين فى الشهر رغم أن طموحها كان أبعد من ذلك، إذ كانت تأمل فى أن تصدر أسبوعية، ورغم كل الحملات التى قامت بها لحث أبناء الطائفة على التبرع لمعاونتها على الصدور أسبوعيّاً إلا أن هذه الحملات لم تؤت ثمارها واستمرت (الاتحاد الإسرائيلى) نصف شهرية.

■■■

(١) انظر الاتحاد الإسرائيلى الأعداد ١٣ ـ ٧ ـ ١٩٢٤، ٢٧ ـ ٧ ـ ١٩٢٤، ٢٤ ـ ٨ ـ ١٩٢٤، ٢١ ـ ٩ ـ ١٩٢٤.

obeikandl.com

الصحافة الصهيونية فى الثلاثينيات

شهدت مصر صدور مجموعة من الصحف الصهيونية تواكبت مع أهداف الحركة الصهيونية فى تلك الفترة (الثلاثينيات) والواقع أن مرحلة العشرينيات كانت قد استلزمت اللجوء إلى أساليب دعائية تجمع بين السفور الحذر ومحاولة التخفى وراء عدة أقنعة مثل صدور معظم الصحف الصهيونية باللغة الفرنسية (الفجر والمجلة الصهيونية وإسرائيل) ومحاولة التخفى وراء الواجهات الدينية (مجلة الاتحاد الإسرائيلى). فقد كانت الصحف الصهيونية فى مصر تحاول أن تتحسس طريقها بحذر ودهاء لتوعية واستقطاب الجماهير اليهودية فى مصر لصالح الحركة الصهيونية من ناحية والعمل على كسب تأييد الرأى العام المصرى بكل الوسائل والأساليب الممكنة من ناحية أخرى، وخصوصاً أن مرحلة العشرينيات التى شهدت صدور وعد بلفور لم تكن تسمح بأكثر من ذلك. وكانت الصحف الصهيونية آنذاك تبث دعايتها على أساس أن اليهود كانوا عند نهاية الحرب العالمية الأولى حوالى ٥٠ ألفاً فقط من فلسطين. وكانت الحركة الصهيونية تشعر منذ إعلان وعد بلفور أن (تصريح بلفور وأهداف انتداب عصبة الأمم لبريطانيا على فلسطين سوف تبقى قصاصة من الورق إذا لم تعمل الحركة الصهيونية على الإتيان باليهود إلى فلسطين وتهيئة الأرض والاستيطان على أوسع نطاق)[1]. وكانت الحركة الصهيونية مقتنعة تماماً بأن الهجرة والاستيطان ستخلقان الوقائع السياسة التى لا مهرب منها. وهذه الوقائع السياسية هى التى ستأتى بالإستقلال. ولهذا كان لابد أن تتدفق الهجرة أولاً، وقد تدفقت بالفعل. وهكذا أصبح عدد اليهود فى فلسطين فى الثلاثينيات ثلاثة أمثال ما كان عليه من قبل، وقد كان

(١) انظر: الاتحاد الإسرائيلى ٢١ ـ ٦ ـ ١٩٢٧، ٢٠ ـ ٩ ـ ١٩٢٧، ١ ـ ١١ـ ٢٩٢٧.

هذا مؤشراً مادياً هاماً استندت إليه الدعاية الصهيونية فى أطروحاتها المختلفة لمعنى الوطن القومى. فإذا كان الحذر النسبى يسود موقف الصحف الصهيونية فى مصر وكان يتمثل فى عدم القدرة على إعلان مراميها وأطماعها فى العشرينيات فمرجع ذلك كان يستند إلى طبيعة المرحلة ذاتها حيث كان من الخطورة بالنسبة لحركة الصهيونية أن تفصح من خلال أدوات الدعاية المطبوعة (الصحف) عن استراتيجيتها التى تكشف تدريجياً متسقة مع قدر الإنجاز الذى كان يتم تحقيقه على أرض فلسطين. فعندما وصلت الهجرة اليهودية إلى فلسطين إلى ذلك الحد الذى يمثل سنداً فعلياً للحركة الصهيونية وتجسيداً مادياً لوعد بلفور، حينئذ اختلفت أساليب الدعاية الصهيونية كماً ونوعاً وطرحت لصحف الصهيونية مفهوم الدولة اليهودية المستقلة كحل أمثل للمشكلة الفلسطينية بعد أن كانت مقتصرة فى العشرينيات على الوطن القومى فحسب دون التجرؤ على الإفصاح عن الهدف الحقيقى وهو الدولة اليهودية المستقلة.

وتتصدر حقبة الثلاثينيات صحيفتان تمثلان جناحى الحركة الصهيونية تمثل الأولى فرع حزب التصحيحيين بمصر هى جريدة (الصوت اليهودى) التى أصدرها ١٩٣١ البير ستراسلسكى وكانت تصدر باللغة الفرنسية وكان يقوم بتمويلها بعض كبار الرأسماليين اليهود بالإسكندرية كما كانت تحظى برعاية حاخام الإسكندرية. واستمرت صحيفة الصوت اليهودى فى الصدور كمجلة أسبوعية حتى نهاية عام ١٩٣٣ وقد كانت تمثل الجناح المتطرف فى الحركة الصهيونية.

أما الصحيفة الثانية التى صدرت فى بداية الثلاثينيات وقدر لها أن

انظر:

(١) عواطف عبد الرحمن ـ مصدر سابق ص ٢١٩.

(٢) خيرية قاسمية: النشاط الصهيونى فى الشرق العربى وصداه ـ بيروت م.أ.ق. ١٩٧٣ ص ٦٩ ـ ٧٠.

تكون إحدى الدعائم للحركة الصهيونية فى مصر فقد كانت صحيفة «الشمس» التى أصدرها سعد يعقوب المالكى ١٩٣٤ كى تصبح البديل المتوقع الطبيعى لصحيفة إسرائيل التى توقفت بعد وفاة مؤسسها البير موصيرى بفترة وجيزة بسبب إفلاسها. وقد حرص سعد يعقوب المالكى الذى ظل ملازماً لصحيفة إسرائيل طوال فترة صدورها وكان يعمل رئيس تحريرها، على أن يتجنب جميع السلبيات التى وقعت فيها صحيفة إسرائيل وأهمها عدم التسرع فى الكشف عن الوجه الصهيونى لصحيفة الشمس بالإضافة إلى اهتمامه بعدم الاصطدام برجالات الطائفة البارزين، وتختلف صحيفة الشمس عن صحيفة إسرائيل فى أنها كانت دائماً تحرص على أن تبدو بعيدة عن الحركة الصهيونية أو الدعاية للوطن القومى. بل إن هدفها هو خدمة مصرنا العزيزة وخدمة المصالح الطائفية خدمة بريئة عن الهوى[1] وتزويد القارئ الشرقى بمعلومات وأخبار عن حياة اليهود فى العالم، وكان رئيس تحرير الشمس ينتهز المناسبات كى يؤكد مصرية الصحيفة وشرقيتها. ولم ترد فيها كلمة واحدة عن الأهداف الصهيونية أو التزام الصحيفة بها. ويوضح لنا هذا سياسة الخبث والدهاء التى اتبعتها هذه الصحيفة: فهى قد تجنبت تماماً الإشارة إلى علاقتها بالحركة الصهيونية بينما كانت فى الواقع تخدم المخطط الصهيونى بتفانٍ وإخلاص واستمرارية لا تقل عن صحيفة «إسرائيل» كما سوف يتضح من الفصل التالى.

ولم يكن هدفها يقتصر على التأثير على الرأى العام اليهودى فى مصر، بل كانت تهدف إلى استقطاب الرأى العام المصرى لصالح الصهيونية من خلال مخطط ذكى وغير مباشر، وكانت دائماً تردد اعتزازها بانتمائها المصرى، وانطلاقاً من هذا المفهوم انفردت الشمس عن بقية الصحف الصهيونية فى مصر بنشر سلسلة دراسات عن تاريخ اليهود

(١) الشمس ١٩ ـ ٩ ـ ١٩٣٥.

فى مصر كتبها الدكتور هلال فارحى وسلسلة عن الفلاح اليهودى المصرى كتبها الدكتور فريد يلوز[1].

وقد اهتمت بإبراز المهرجان التاريخى الذى أقيم للاحتفال بذكرى ابن ميمون. وقد خصصت الشمس باباً ثابتاً فى الصفحة الثالثة لمتابعة أنباء ونشاطات اليهود فى مصر تحت عنوان «حوادث وأخبار» وكانت الشمس تتابع أخبار اليهود فى شرق أوروبا باهتمام شديد وتركز على الاتجاهات المعارضة للنازية[2].

كما كانت تركز على أخبار يهود إفريقيا بالذات. وكانت الشمس تحظى باهتمام وتشجيع كبار الرأسماليين اليهود، بدليل أن معظم إعلاناتها كانت من كبار أصحاب المتاجر والمصارف اليهودية فى مصر مثل داود عدس وشيكوريل وبنك جاك إسكندرى ولقد نجحت الشمس فى أن تخلق لها شعبية واسعة لدى اليهود فى مصر لدرجة أنهم طالبوا بتحويلها إلى صحيفة يومية، ونشرت الشمس عدة نداءات متكررة وجهها بعض اليهود إلى أثرياء الطائفة كى ينتبهوا إلى أهمية تحويل الشمس من مجلة أسبوعية إلى صحيفة يومية[3].

وقد تزايدت هذه النداءات بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ووضوح المخطط الصهيونى فى فلسطين ولكن تصدى كبار رجال الطائفة لمنع هذا المشروع من الخروج إلى حيز التطبيق خشية إثارة مزيد من المشاعر العدائية ضد اليهود، خصوصاً بعد انكشاف حقيقة الأطماع الصهيونية فى فلسطين والوطن العربى.

وقد أصدرت الشمس طبعة شهرية خاصة باللغة الفرنسية أطلقت

(١) الشمس الأعداد ٥ ـ ١٢ ـ ١٩٣٤، ١٨ ـ ١ ـ ١٩٣٥، ٢٣ ـ ٢ ـ ١٩٣٥، ٥ ـ ٤ ـ ١٩٣٥.

(٢) الشمس ٣٠ ـ ١١ ـ ١٩٣٤، ٨ ـ ٣ ـ ١٩٣٥.

(٣) الشمس ٢١ ـ ١ ـ ١٩٣٧.

عليها اسم Kadima أى إلى الأمام وذلك فى سبتمبر ١٩٣٥ وكان يشرف على هذه الطبعة موريش فرجون، وكانت تهتم بنشر الموضوعات التاريخية وأخبار الطائفة اليهودية فى مصر والعالم(١).

وقد توقفت تلك الصحيفة الشهرية «كاديما» فى أغسطس ١٩٣٧ وكان توزيعها يتراوح بين ٣٥٠٠ و٤٠٠٠ نسخة. ورغم الخطورة التى كانت تمثلها صحيفة الشمس باعتبارها من أهم الصحف الصهيونية التى استطاعت خلال أربعة عشر عاماً «١٩٣٤ ـ ١٩٤٨» أن تنفذ مخطط الدعاية الصهيونية ببراعة ودهاء ـ رغم كل ذلك لم تدرك الحكومة المصرية خطورة هذه الصحيفة إلا عقب الشكاوى التى تقدمت بها الجامعة العربية إلى إدارة المطبوعات المصرية تتهم فيها صحيفة الشمس بالدعوة لتأييد مطامع الصهيونية فى فلسطين والطعن فى الجامعة العربية وقضايا العروبة وأنها تصدر بأموال صهيونية، وحينئذ أصدرت الرقابة العامة قراراً بتعطيل صحيفة الشمس ومصادرة أعدادها(٢).

هذا وتعد صحيفة «المنبر اليهودى» من أخطر الصحف الصهيونية وأعمقها أثراً على يهود مصر، وقد أصدرها جاك رابان باللغة الفرنسية فى نهاية عام ١٩٣٦ وقد كان رابان يتسم بنشاط وحماس شديدين للحركة الصهيونية وساهم بالكتابة فى معظم الصحف الصهيونية التى كانت تصدر فى مصر فى ذلك الحين مثل إسرائل والفجر والشمس والصحف الأجنبية ذات الميول الصهيونية مثل البورص اجيبسيان وجريدة الأحد، كما ساهم فى إنشاء نقابة الصحفيين المصريين، ولقد لعبت صحيفة المنبر اليهودى دوراً أساسيّاً فى الدعاية للحركة الصهيونية فى مصر خصوصاً فى الأربعينيات(٣).

(1) Fargeon: Op. Cit P. 228.

(٢) خطاب من إدارة الصحافة بالجامعة العربية إلي مدير إدارة المطبوعات بوزارة الداخلية بتاريخ ١١ ـ ٥ ـ ١٩٤٨ نقلاً عن سهام عبدالرازق ـ مصدر سابق ص ٥٦.

(٣) عواطف عبدالرحمن ـ مصدر سابق ص٢٣٩.

الصحف الصهيونية
فى الأربعينيات

من الملاحظ أن الدعاية الصهيونية فى مصر اعتمدت فى بداية القرن على الصحافة المصرية وخصوصاً بعد عقد مؤتمر بال ١٨٩٧ وظل الأمر على هذا النحو طوال الفترة التى امتدت حتى ما بعد صدور وعد بلفور ١٩١٧ ثم صدور صحيفة إسرائيل ١٩٢٠ باعتبارها أول صوت إعلامى صهيونى باللغة العربية فى مصر، وكانت قد سبقتها المجلة الصهيونية التى صدرت باللغة الفرنسية كلسان ناطق باسم المنظمة الصهيونية العالمية فى مصر برئاسة ليون كاسترو.

وكانت من أبرز الصحف المصرية التى لعبت دوراً رئيسياً فى الدعاية للحركة الصهيونية، المقطم والأهرام ثم الصحف الموالية للقصر التى كانت تصدرها أحزاب الأقلية مثل صحيفة «الاتحاد» لسان حال حزب الاتحاد وصحيفة «الشعب» الناطقة باسم حزب الشعب.

ولم يخل الأمر من بعض المساندة التى أبدتها صحيفة «السياسة» لسان حال حزب الأحرار الدستوريين للأهداف الصهيونية على الصحف المصرى. وعندما استكملت الحركة الصهيونية مقومات وجودها داخل المجتمع المصرى والتى تمثلت فى وجود تنظيمات ونوادٍ ثقافية ورياضية وقاعدة عريضة من المساندة المصرية واليهودية ـ حينئذ أصبح لها صحفها

(1) Farjeon: Op. Cit. P. 227.

(2)Ibid. P. 229.

(٣) إسرائيل فى عامها الرابع عشر ٦ ـ ١ ـ ١٩٣٣.

المستقلة والناطقة باسمها.

وقد تم تحقيق ذلك طوال العشرينيات وأصبحت هناك صحف صهيونية تمويلاً ومضموناً وأهدافاً وأسفرت عن هويتها بوضوح أحياناً وببعض التحايلات أحياناً أخرى. وعندما أقبلت الأربعينيات وأصبح تحقيق الوطن القومى اليهودى فى فلسطين قاب قوسين أو أدنى وانكشف تماماً الخطر الصهيونى أمام أعين الرأى العام العربى والمصرى من خلال الصدامات الدامية التى وقعت بين الحركة الوطنية الفلسطينية من جانب فى مواجهة الحركة الصهيونية المدعومة بالمساندة البريطانية من جانب آخر، وقد لعبت أحداث البراق ١٩٢٩ وهبة ١٩٣٣ وانتفاضة القسام ١٩٣٥ ثم الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦ دوراً حاسماً فى إيقاظ الحس القومى لدى الرأى العام المصرى والتنبيه إلى حقيقة النشاط الصهيونى والأخطار التى تحملها الحركة الصهيونية ليس بالنسبة لفلسطين فحسب بل للوطن العربى بأكمله.

حينئذ أصبح لزاماً على الحركة الصهيونية أن تعيد النظر فى أساليبها الدعائية وتحاول التركيز على أكثر هذه الوسائل تلاؤماً لتحقيق أهدافها المرحلية والتى انحصرت فى تلك الحقبة فى هدفين رئيسيين:

أولهما: الحرص على عدم الصدام المباشر مع الرأى العام المصرى بالعمل على ممالأة الحركة الوطنية المصرية ومواصلة تسريب وبث الأفكار الصهيونية من خلال الصحف الصهيونية واليهودية والمصرية التى كانت تشغل المساحة الإعلامية المصرية فى ذلك الحين.

ثانيهما: مواصلة تجنيد الطاقات المادية والبشرية لليهود المصريين لدعم الوطن القومى اليهودى فى فلسطين خصوصاً بعد أن أصبح على وشك التحقق الفعلى.

وتحقيقاً للأهداف السابقة واصلت الدعاية الصهيونية نشاطها فى مصر من خلال الصحف التى كانت قد أصدرتها أثناء الثلاثينيات وخصوصاً صحيفة الشمس والمبر اليهودى، ولم تقدم على إصدار صحف صهيونية جديدة خلال الأربعينيات، ولكن عوضاً عن ذلك فوجئ الرأى العام المصرى بأسلوب دعائى صهيونى جديد يتلخص فى إصدار صحيفة مصرية ذات طابع ثقافى ضمت نخبة من كبار المثقفين المصريين بتمويل يهودى صهيونى وتحمل واجهة حضارية لا تحتمل إثارة الشكوك حول انتمائها أو هويتها الحقيقة ـ تلك الصحيفة هذ الكاتب المصرى التى صدرت فى أكتوبر سنة ١٩٤٥ وكان يرأس تحريرها الدكتور طه حسين وكان يتولى تمويلها إحدى العائلات اليهودية الثرية وهى أسرة هرارى.

وقد تخصصت هذه المجلة فى نشر الدراسات الأدبية والنقدية. وقد ضمت طائفة من الكتاب الأوروبيين والأمريكيين إلى جانب الكتاب المصريين أمثال توفيق الحكيم ولويس عوض وسهير القلماوى وحسين فوزى ونجيب الهلالى ويحيى حقى وشوقى ضيف ومحمود تيمور ويحيى الخشاب وفؤاد صروف.

وقد تعرضت مجلة الكاتب المصرى لحملة عنيفة من جانب بعض الصحف المصرية مثل مصر الفتاة وغيرها متهمة إياها بالخضوع لسيطرة الصهيونية وأن الهدف من إصدارها هو العمل على استقطاب المثقفين المصريين لصالح الحركة الصهيونية وشراء صمتهم إزاء الصراع العربى الصهيونى فى فلسطين.

وبالفعل فقد ثبت من متابعة أعداد مجلة الكاتب المصرى تجاهلها الكامل وشبه المتعمد للقضية الفلسطينية فى الوقت الذى بلغت الصدامات العربية الصهيونية فى فلسطين ذروتها ولم تخل صحيفة مصرية من متابعة هذه الأحداث بشتى ألوان الكتابة والتغطية الصحفية.

ونلاحظ أن مجلة الكاتب المصرى كانت تخوض فى مختلف القضايا السياسية المعاصرة بدءاً بمشكلة المضايق التركية ومستقبل آسيا بعد هزيمة اليابان والثورة الدامية فى ملاجاش «جزيرة مدغشقر». وقد خصصت باباً ثابتاً أطلقت عليه اسم «شهرية السياسة الدولية» كان مخصصاً لمتابعة الشؤون والأحداث العالمية.

وكانت لا تمنح القضية الفلسطينية أكثر من عمود أو اثنين كحدث هامشى، وكانت تقتصر على المعالجات الخبرية من التعليق أو التحليل[١].

ولا شك أن ذلك فى حد ذاته يشكل أكبر إدانة لمجلة الكاتب المصرى، ولا يمكن إرجاعة إلى الجهل بالمشكلة الفلسطينية لأنها كانت آنذاك فى ذروة تصاعدها. كما يمكن ملاحظة النغمة الحيادية التى تناولت بها مجلة الكاتب المصرى القضية الفلسطينية من خلال معالجتها للأحداث ذات الدلالة فى مصير القضية مثل قرار التقسيم ١٩٤٧: إذ نلاحظ أنها نشرت الخبر وردود الفعل فى الأوساط العربية والبريطانية فحسب كذلك يلاحظ اهتمام المجلة بإبراز إنجازات اليهود وإسهاماتهم فى الثقافة والأدب العربى[٢].

وعندما نحاول تفسير المبررات التى دفعت تلك النخبة البارزة من المثقفين المصريين للمشاركة فى إصدار مجلة الكاتب المصرى رغم ما أحاط بها وبممولها من شكوك وعلامات استفهام ظلت حتى اليوم دون تفسير مقنع ـ عندما نحاول فهم ذلك الموقف سوف نجد أن معظم الذين شاركوا فى الكاتب المصرى كانوا ينتمون إلى التيار القومى المصرى الذى عبر عن نفسه فى أوائل القرن العشرين لدى كل من لطفى السيد وأحمد فتحى زغلول وفى خلال العشرينيات والثلاثينيات لدى محمد حسين هيكل

(١) انظر الكاتب المصري ديسمبر ١٩٤٥، أبريل ١٩٤٦، يونية ١٩٤٦ .

(٢) الكاتب المصرى أبريل ١٩٤٦ .

وأحمد أمين وعباس العقاد وتوفيق الحكيم وإبراهيم المازنى وطه حسين ومنصور فهمى ومن أبرز الصحف التى تبنت هذا الاتجاه وروجت لها صحيفة «الجريدة» التى كان يرأسها أحمد لطفى السيد ثم انتقلت دعوة القومية المصرية من الجريدة إلى «السفور» ثم «السياسة اليومية والإسبوعية» فى العشرينيات والثلاثينيات.

وقد لعبت الكاتب المصرى أثناء الحرب العالمية الثانية دوراً هامّاً فى إحياء تيار القومية المصرية ونشر الفكر القومى المصرى. والواقع أن ذلك التيار كان يضم المجموعات الفكرية التى أعلنت تبنيها للنظرة المتوسطية التى ذهبت إلى أن مصر كانت تمثل باستمرار جزءاً من حضارة البحر المتوسط التى شملت أوروبا والشرق الأدنى.

وقد قيض لهذا الرأى الذى نادى به قبل الحرب العالمية الأولى لطفى السيد وقاسم أمين أن يجد فى طه حسين أقوى معبر عنه.

وقد سجل هذا التيار موقفاً متحفظاً من التيار العربى فى مصر منذ البداية. هذا وقد لعبت الظروف التاريخية الأخرى «الاستعمار البريطانى - مسئولية العرب فى إسقاط مصر من حسابهم - الدور السلبى للسوريين فى مصر» فى ابتعاد مصر عن الميد ن العربى وترسيخ جذور التيار القومى المصرى[1].

ولكن على الرغم من جميع وسائل التمزيق والتفتيت التى لجأت إليها الدول الاستعمارية لتجزئة المشرق العربى فقد ظلت الصلة قوية بين أجزاء الأمة العربية وقد طرأت فى الثلاثينيات على الواقع العربى عدة متغيرات هامة أو ما يمكن أن نطلق عليه العوامل المضادة للتباعد العربى، مما ساعد على تخطى الحواجز الإقليمية المصطنعة والبدء فى دخول

(١) انظر:

١ - عواطف عبدالرحمن - مرجع سابق ص ٩٠ - ٩٥.

مرحلة تاريخية تختلف نوعياً عن المراحل السابقة لها فى الميدان العربى، ومن أبرز هذه المتغيرات ظهور الخطر الصهيونى على أثر تطور قضية فلسطين على نحو يهدد الوجود العربى كله بالفناء، وخصوصاً بعد وقوع أحداث البراق ١٩٢٩ حيث كان الصراع فى صميمه بين الحركة الوطنية الفلسطينية وبين الصهيونية والانتداب البريطانى بسبب تزايد الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

وقد أراد اليهود انتزاع ملكية الحائط ووضعوا الستار عليه وسارت مظاهراتهم تهتف «الحائط حائطنا» وهب العرب يهتفون أن الوطن العربى لهم والحائط للمسلمين وأشهر السلاح وسالت الدماء وسقط مئات القتلى والجرحى من الجانبين.

وتحركت الصهيونية فى العالم مستثمرة علاقاتها الوثيقة بالدول الاستعمارية وركائزها الاقتصادية فى هذه الدول كما تحركت الشعوب العربية أيضاً متعاطفة مع الشعب العربى فى فلسطين وقد تزعمت الفئات الدينية التى ارتاعت على الأماكن المقدسة حركة التأييد والمساندة للشعب الفلسطينى.

وفى مصر تلاقت مختلف الاتجاهات الدينية والقومية فى الاهتمام بفلسطين. وكانت مصر تعيش فى ذلك الوقت ملحمة صراع وطنى ديمقراطى طرفها الأساسى الحركة الوطنية بقيادة الوفد فى مواجهة طرفى الصراع التقليديين وهما «السراى» والاحتلال البريطانى وحلفائهما من أحزاب الأقلية.

وقد عارض الملك أية دعوة للجامعة الإسلامية لا تخرج من تحت تاجه بعد فشل مشروع الخلافة ١٩٢٦ كما أن الإنجليز كانوا يعارضون أى اقتراب مصرى من الشعب الفلسطينى والعربى. وقد ارتبطت مصالح كبار الملاك المصريين بفكرة القومية المصرية المنعزلة عن العرب فى الخارج

وعن الشعب المصرى فى الداخل.

ولذلك وقفت حكومة محمد محمود باشا ١٩٢٩ ضد ثورة الشعب الفلسطينى وهددت الفلسطينيين المقيمين بمصر بالطرد لاتهامهم بإثارة الفتنة الطائفية لدى الشعب المصرى.

كما اشتركت حكومة إسماعيل صدقى باشا فى معرض تل أبيب الذى أقيم فى ربيع ١٩٢٢ متجاهلة جميع التحذيرات والنداءات التى وجهتها إليها الأوساط الوطنية فى فلسطين(١).

هذا هو التيار القومى المصرى الذى كانت خلاصة عطائه لقضية العربية وقضية فلسطين على المستوى السياسى ذلك الموقف الذى اتخذته حكومتهم ١٩٢٩ ضد ثورة شعب فلسطين وكتبت جريدتهم السياسية تهدد الوطنيين الفلسطينيين فى مصر بالطرد لتهييجهم الرأى العام ـ فى الوقت الذى كانت فيه الصحف الصهيونية مثل «إسرائيل» و«الاتحاد الإسرائيلى» و«الفجر» تمارس كامل حريتها فى نشر وترويج وجهة النظر الصهيونية فى مصر(٢).

هذا التيار القومى المصرى أدى إسهامه على المستوى الثقافى والفكرى إلى صدور الكاتب المصرى التى كانت تعد بمثابة قناع مصرى للتعاون مع الفكر الصهيونى وإغفال البعد القومى العربى تماماً فى تناول أو معالجة القضية الفلسطينية.

وقد استمرت مجلة الكاتب المصرى فى الصدور حتى نهاية يونيو ١٩٤٨ «بعد قيام دولة إسرائيل بشهر ونصف» ثم توقفت بناء على طلب أصحابها. وكان آخر أعدادها عدد مايو ١٩٤٨ .

ومما يجدر ذكره أن الكاتب المصرى كانت تلقى بمسئولية الأحداث فى

(١) عواطف عبدالرحمن ـ مرجع سابق ـ ص ١٨٠ .

(٢) محمد على الطاهر ـ ظلام السجون ـ القاهرة ١٩٣٨ ص ٣٦ .

فلسطين على بريطانيا وحدها كما تتزعم العمل لترويج فكرة التفاهم بين العرب واليهود باعتبارها الحل الأمثل للصراع العربى اليهودى فى فلسطين.

ولابد قبل أن نختتم هذا الفصل أن نشير إلى إحدى الصحف اليهودية التى صدرت خلال الأربعينيات وقدمت بعض الخدمات للحركة الصهيونية ونعنى بها صحيفة الكليم التى صدرت فى مطلع عام ١٩٤٥ كلسان حال لجمعية الشبان القراتين فى القاهرة وكانت نصف شهرية. ورغم الطابع الدينى الذى سيطر على موضوعاتها واهتماماتها ولكن لم تغفل الكليم عن خدمة الاهداف الصهيونية وقد تجسد ذلك فى تشجيعها لهجرة اليهود المصريين إلى فلسطين[1] واهتمامها الواضح بالنشاط الصهيونى العالمى ومتابعة أنباء المؤتمرات الصهيونية.

كما عمدت إلى إبراز المذابح الجماعية وأشكال الاضطهاد التى تعرض لها اليهود على أيدى النازية فى ألمانيا. وقد استمرت الكليم فى الصدور حتى نهاية عام ١٩٥٧ ولكن يلاحظ أنها قد غيرت سياستها تماماً بعد قيام دولة إسرائيل إذ اقتصرت على تناول الموضوعات الدينية ومتابعة نشاطات أبناء الطائفة فقط.

■■■

(١) الكليم ١ ـ ٧ ـ ١٩٤٥.

صحف يهودية غير صهيونية

من الظواهر الملفتة للنظر فى تاريخ اليهودية فى مصر صدور بعض الصحف التى قام بتمويلها بعض اليهود المصريين ولكن لم يثبت انتماؤها للفكر الصهيونى. كما أنه لم يتم تجنيدها أساساً لصالح الحركة الصهيونية، وإن كان ذلك لم يمنع من وقوعها فى بعض الأحيان تحت الضغوط الصهيونية لضمان حد أدنى من التعاطف بينها وبين الأهداف الصهيونية، وكى لا يحدث التناقض الذى قد يترتب عليه بعض الأضرار التى تعوق حركة ونشاط الهيئات الصهيونية فى مصر.

ومن أبرز الأمثلة فى ذلك لصدد صحف آل مزراحى وهى على التوالى: «التسعيرة، ١٩٤٤، ، المصباح، ١٩٤٦ ثم ، الصراحة، ١٩٥٠.

وبالنسبة لصحيفة التسعيرة فقد صدرت لأهداف تجارية بحتة. فقد استغل صاحبها البرت مزراحى صدور الأحكام العسكرية أثناء الحرب العالمية الثانية والتى تنص على ضرورة إبراز التسعيرة الرسمية فى واجهات المحال التجارية فأصدر جريدته وهو يدرك جيداً بأنها ستلقى رواجاً لدى جميع الأطراف: التجار والمستهلكين والمحاكم على السواء.

وقد اعتمد مزراحى فى تمويل صحيفته على الاشتراكات والإعلانات التى كان يحصل عليها بشتى أساليب الابتزاز والتهديد واستغلال العلاقة التى كانت تربطه بكبار المسئولين المصريين آنذاك وخصوصاً فؤاد سراج الدين باشا الذى كان وزيراً للداخلية فى ذلك الوقت[1].

وحرصاً على تأكيد انتماتها للمجتمع المصرى أوضحت التسعيرة فى

(١) التسعيرة ٥ ـ ٨ ـ ١٩٤٤، ٢ ـ ٩ ـ ١٩٤٤.

أكثر من مرة اعتراضها على تدخل اليهود المصريين فى الصراع الصهيونى الفلسطينى وأكدت ضرورة المحافظة على العلاقات الودية بين اليهود وإخوانهم المصريين بالعمل على الابتعاد عن الخوض فى هذه القضية الشائكة. ولم تكتف التسعيرة بذلك بل أدانت الأعمال الإرهابية التى تقوم بها العصابات الصهيونية فى فلسطين، وكذلك أعلنت استنكارها للدور الذى يقوم به ليون كاسترو رئيس فرع المنظمة الصهيونية بالقاهرة فى خدمة الصهيونية على حساب المصالح المصرية.

وطالبت الصحيفة الحكومة المصرية باتخاذ موقف حاسم إزاء النشاط الصهيونى الذى يتزعمه بعض اليهود فى مصر(١).

ولكن لم تفلت التسعيرة من قبضة الصهيانة فى مصر، إذ سرعان ما تعرضت لضغوط مباشرة من جانب اليهود الموالين للصهيونية. وظهرت آثار هذه الضغوط فى تراجعات واضحة سجلتها صفحات الصحيفة ذاتها. واتخذت هذه التراجعات صورة هجوم مكثف على الصحف المصرية التى تهاجم الصهيونية واليهود وخصوصاً الصحف الوفدية. وقد تصاعد موقفها الدفاعى عن الصهيونية إلى حد اتهام المعارضين للصهيونية بالشيوعية(٢).

أما صحيفة المصباح التى اشتراها البير مزراحى من أحد الصحفيين المصريين ١٩٤٦ وخصصها للنقد الفنى ونشر الثقافة الفنية فقد واصلت نفس النغمة المعادية للصهيونية والتى كانت تسيطر على صحيفة التسعيرة فى بداية صدورها. وقد حملت على عاتقها مهمة كشف المصالح الصهيونية فى مجال السينما المصرية والعلاقات التى تربط بين بعض المنتجين السينمائيين من اليهود المصريين وكبار الصهيونيين فى فلسطين.

وكشفت عن الدور الذى تقوم به الصهيونية فى محاربة الشركات

(١) التسعيرة ١٣ ـ ١ ـ ١٩٤٥.

(٢) التسعيرة ٢٩ ـ ١ ـ ١٩٤٧.

السينمائية المصرية والفلسطينية والتحايلات التى تقوم بها الشركات الصهيونية لتفادى قرارات المقاطعة التى أصدرتها الجامعة العربية ضدها. منها مثلاً إخراج افلام تحمل أسماء مصرية أو الاشتراك مع منتجين مصريين بينما يكون التمويل ومضمون الأفلام صهيونياً فى الواقع.

والصحيفة الثالثة التى أصدرها البير مزراحى باسم زوجته السيدة صول مزراحى هى صحيفة الصرحة وقد صدرت فى سبتمبر ١٩٥٠ كصحيفة وفدية كانت مهمتها متابعة تحركات زعماء الوفد ونشاطهم السياسى والدفاع عن الوفد طالما كان فى كرسى الحكم ولا تتوانى عن إيجاد المبررات الغريبة للأخطاء التى كان يقع فيها الوفد سواء على المستوى السياسى أو الاجتماعى، ولكن عندما أقيل الوفد يناير ١٩٥٢ بدأت «الصراحة» تساير الركب الجديد الذى تمثل فى حكومة على ماهر واعتنقت هذا المبدأ وهو مسايرة كل حكومة والسير فى ركابها. وكذلك فعلت مع ثورة يوليو ١٩٥٢ إذا ألغت من شعارها صفتها الوفدية وأصبحت صحيفة سياسية يومية فقط بعد أن كانت «صحيفة وفدية سياسية يومية».

وفيما يتعلق بموقف «الصراحة» من النشاط الصهيونى فى مصر فهى قد أعلنت منذ العدد الأول أنها صحيفة يهودية مصرية ولم يؤخذ عليها أنها نشرت موضوعات تحمل شبهة التحالف أو التأييد للحركة الصهيونية أو لدولة إسرائيل، خصوصاً وأن الصحيفة صدرت بعد قيام إسرائيل بعامين.

■■■